

## المبحث الخامس: الجود والكرم

الجود والكرم خُلِقَ عظيم وهو على عشر مراتب على النحو الآتي:

- ١ - الجود بالنفس وهو أعلى مراتب الجود.
- ٢ - الجود بالرياسة، فيحمل الجواد جوده على الجود برياسته والإيثار في قضاء حاجات الناس.
- ٣ - الجود براحتة، فيجود بها تعباً في مصلحة غيره.
- ٤ - الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود، وهو أفضل من المال.
- ٥ - الجود بالنفع بالجاء كالشفاعة وغيرها.
- ٦ - الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، فكل يوم تعدل فيه بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فترفع متاعه عليها أو تحمله عليها صدقة، والكلمة الطيبة صدقة.
- ٧ - الجود بالعرض، كمن يعفو عمن اغتابه، أو سبه، ونال من عرضه، كما فعل أبو ضمضم<sup>(١)</sup>.
- ٨ - الجود بالصبر، والاحتمال، وكظم الغيظ، وهذا أنفع من الجود بالمال.
- ٩ - الجود بالخلق الحسن، والبشاشة، والبسطة، وهو فوق الجود بالصبر.
- ١٠ - الجود بترك ما في أيدي الناس عليهم فلا يلتفت إليه.

ولكل مرتبة من الجود مزيد وتأثير خاص في القلب، والله سبحانه

(١) روى أبو داود، ٤ / ٤٢٣، برقم ٤٨٨٦ رسلاً: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَيْعَمٍ أَوْ ضَمْضَمٍ - سَكَ ابْنُ عُيَيْدٍ - كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرْضِي عَلَى عِبَادِكَ. وقال الألباني في إرواء الغليل، ٨ / ٤٢: «وإسناده صحيح إلى قتادة».

قد ضمن المزيد للجواد والإتلاف للممسك، والله المستعان<sup>(١)</sup>.

وكل أنواع الجود والكرم ينبغي للدعاة أن يتحلوا بها في دعوتهم، ومن الصور العظيمة لتطبيق الجود والكرم ما فعله رسول الله ﷺ ومن ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومى أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ﷺ، وغزارة جوده<sup>(٣)</sup>.

وكان ﷺ يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله ﷻ وترغيباً للناس في الإسلام، وتأليفاً لقلوبهم، وقد يظهر الرجل إسلامه أولاً للدنيا ثم - بفضل الله تعالى، ثم بفضل النبي ﷺ ونور الإسلام - لا يلبث إلا قليلاً حتى ينشر صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون أحب إليه من الدنيا وما فيها<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/٢٩٣-٢٩٦ بتصرف.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً فقال: لا، برقم ٢٣١٢.

(٣) انظر: أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان ٣٠/١، وكتاب الأدب باب حسن الخلق وما يكره من البخل، ١٠/٤٥٥، وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: لو أن عندي مثل أخذ ذهباً، ١١/٢٦٤، ١١/٣٠٣، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع، ٤/٤٧٤، وكتاب التمني، باب تمني الخير، وقول النبي ﷺ: لو كان لي مثل أخذ ذهباً، ١٣/٢١٧، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ٤/١٨٠٥، ١٨٠٦، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة، ٢/٧٣٠، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، ٢/٦٨٧.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٥/٧٢.

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح - فتح مكة - ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة، قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ<sup>(١)</sup>.

وقال أنس رضي الله عنه: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(٢)</sup>.

وإذا رأى النبي ﷺ الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان ﷺ يجزل له في العطاء، قال ﷺ: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه»<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك كان ﷺ «يعطي رجلاً من قريش المائة من الإبل»<sup>(٤)</sup>.

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله ﷺ مع المرأة المشتركة صاحبة المزداتين<sup>(٥)</sup>، فإنه بعد أن أسقى أصحابه من مزداتيهما، ورجعت المزداتان أشد ملاءةً منها حين ابتداء فيها قال لأصحابه: «اجمعوا لها»، فجمعوا لها - من بين عجوة، ودقيقة

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم ٢٣١٣.

(٢) مسلم، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً، ٤/١٨٠٦.

(٣) البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا» [البقرة: ٢٧٣]، برقم

١٤٧٨، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، برقم ١٥٠.

(٤) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفقة قلوبهم، برقم ٢٩٧٨.

(٥) المزداتان: مثنى مزادة، والمزادة: الراوية، ولا تكون إلا من جلد. انظر: القاموس المحيط،

وسويقة - حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها ﷺ: «اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك<sup>(١)</sup> من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا».

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك الصرم<sup>(٢)</sup> بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون ذلك الصرم الذي هي فيه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

الأمر الأول: ما رآته من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من معجزات النبي ﷺ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي ﷺ حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً.

(١) ما رزأناك: أي: لم ننقص من مائك شيئاً. انظر: فتح الباري، ٤٥٣/١.

(٢) الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري، ٤٥٣/١.

(٣) البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم بكفيه عن الماء، برقم ٣٤٤، وكتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم ٣٥٧١، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، برقم ٦٨٢.

(٤) البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم بكفيه عن الماء، برقم ٣٤٤.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها؛ لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي ﷺ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سبباً لإسلامهم<sup>(١)</sup>.

وهذه الأمثلة التي سُقَّتْها ما هي إلا قطرة من بحر من كرم النبي ﷺ، فما أحوجنا، وما أولى جميع الدعاة إلى الله ﷻ إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والاقْتِباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

(١) انظر: فتح الباري، ١/٤٥٣.